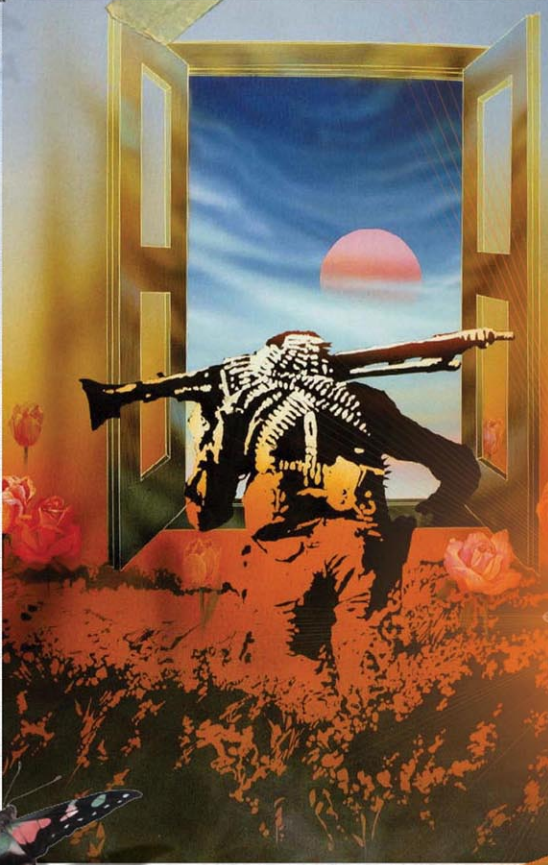


عودة الفارس

قصة الأسير المجاهد محمد عباس البرزاوي

أمراء النصر والتحرير



جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION



الإعداد والإخراج الإلكتروني
www.almaaref.org





عودة الفارس

الكاتبة: فاطمة محسن القرصيفي





الإعداد والإخراج الإلكتروني
www.almaaref.org

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ - ص.ب. ٢٤/٥٣ . ٢٥/٣٢٧

● القصة: عودة الفارس.

● قصة الأسير: محمد البرزاوي.

إسم الأب: عباس.

إسم الأم: فهيمة رعد.

مواليد: ١٩٦٥ - بعلبك.

رقم السجل: ٤٧ الریش.

تاریخ الأسر: ١٩٨٧/١٢/٤.

إسم السجن: الجلعة، الرملة، عسقلان، نفعا.

تاریخ التحرر: ٢٠٠٢/٦/١١.

● الكاتبة: فاطمة محسن القرصيفي.

● الدرجة: نالت الدرجة الثانية في المسابقة الثانية

لأفضل قصة أسير التي نظمتها الوحدة

الثقافية المركزية في حزب الله وبلدية

الغبيري.

● الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

● الطبعة: الأولى أيار ٢٠٠٣م - ربيع الأول ١٤٢٤هـ.

على نفقة بلدية الغبيري.

أمراء النصر والتحرير

قصة الأسير المجاهد محمد عباس البرزواي



بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ومن ينق الله يجعل له مخرجاً
ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾

الإهداء

الى كل أبي صامد
انثى من ديجور زنانتته..
شهاباً..
يخرق كل حجب الظلم
والاستسلام.

فاطمة

أمراء النصر والتحرير

قصة الأسير المجاهد محمد عباس البرزواي

باسمه تعالى

أشرقت شمس غزة الدافئة على مصطبة الحاجة أم حسن ثابت في حي الشجاعية.

فتحت الحاجة أم حسن النافذة الشرقية التي تطل على المصطبة وتأملت.

يا إلهي لم اعتد الجلوس على هذه المصطبة بمفردي، كان حسن يملأ دنياي فرحاً وحياة.

دخلت أم حسن حضرت قهوتها وخرجت وضعت الصينية على الطاولة وقبل أن تجلس لمحت من بعيد امرأة قادمة نحو منزلها. حدقت يالله أنها خطوات الحاجة آمنة هذا جلابها الأسود وهذه لفة منديلها.

نعم إنها هي. وصلت الحاجة آمنة.

. صباح الخير.

. أهلاً وسهلاً يا حاجة تفضلي.

الحمد لله أنك جئت تشاركوني قهوة الصباح، فمنذ استيقظت أدعو الله ليأتي أحد ويشاركني القهوة. حسن لم يتركني لحظة منذ وفاة والده، ولكن كيف يتسبب في هذه الأيام؟ أين يقضي صباحته وأيامه؟ مع من يجلس.

. صحيح يا أم حسن أتيت مبكرة لأشرب معك القهوة

وأسألك ما أخبار ولدك حسن في السجن.

. أخبار حسن. قالتها أم حسن وبكت. ماذا أخبرك؟

صباح أمس حضرت جلست الحكم بحق حسن وقضى
الحكم بسجنه مدة سبعة عشر عاماً.

- سبعة عشر عاماً! يا إلهي!!

- لا تستغربي يا حاجة فاليهود حكموا على معظم
السجناء معه بحدود هذه المدة تقريباً الى جانب السجن
المؤبد.

- وما هي التهمة الموجهة اليه؟

- التهمة الموجهة اليه؟ مقاومة الاحتلال وهل تظنيه

يتهم بغيرها

- لعنهم الله ما أظلمهم وأقساهم.

- لا عليك يا حاجة، فمثل حسن كثر في السجن معه،

فقد آلموني بالأمس عندما أدخل الشرطي حسن الى
الزنازة.

وجدت معه عدة شباب بنفس التهمة، ولكن من لم
تفارق مخيلتي صورته أبداً هو سجين لبناني من حزب
الله أسمه على ما أظن «محمد» وهو في ريعان شبابه
أصغرهم سناً.

تناولت أم حسن ركوة القهوة لتصب في الفناجين،

بينما الحاجة آمنة أخذتها تأملاتها.

شاباً لبناني سجين في عسقلان بعيداً عن أهله

ووطنه بعيداً عن والدته.

- ما بك يا حاجة آمنة؟ تفضلي إشربي القهوة.

. آه انتبهت الحاجة من التفاتتها وأجابتها: شكراً
سأشرب.

ولكن أأخذني ما أخبرتني إياه عن ذلك السجين
مسافات أبعد من سجن عسقلان.

عديني يا أم حسن بأن تصحبيني معك عندما
تذهبين في المرة القادمة لتزوري حسن، أود التعرف الى
محمد لا بد أنه عظيم الشأن.

عل وحدتي تسلي وحدته وأعوضه بعض ما فقد من
حنان أمه.

فجر اليوم التالي خرجت أم حسن برفقة الحاجة
آمنة لزيارة ولدها في عسقلان. وصلتا بعد الظهر الى
عسقلان.

بعد عبور حاجز التفتيش دخلتا الى السجن. توجهت
الحاجة أم حسن لمقابلة ولدها السجين بعد أن دلت
الحاجة آمنة الى زنزانة محمد.

تقدمت الى الزنزانة ففتح لها الشرطي الباب، دخلت
وعندما رآته خفق قلبها خفقة ظنتها الأخيرة، وقبل
إلقاء السلام عليه فاضت عيناها بالدموع.

وقفت امامه وسألته: محمد؟ أليس كذلك؟

قال: نعم.

. السلام عليكم.

. وعليكم السلام. تفضلي يا حاجة.

رد السلام، وعلامات التأثر والإستغراب بادية على
محياء الصبوح.

جلست بالقرب منه وأن وأنا بحال لا أقدر وصفها،
تصورت نفسها والدته وتساءلت. كيف كانت ستلاقي
ولدها؟

بدأت بالحديث معه.

محمد منذ مدة وأنا أتوسل جارتني لتسأل ولدها
السجين إن كان يوجد معه سجين لبناني بعيد عن أهله
ولا يعلم عنهم شيئاً.

والآن وبعد مدة طويلة دلوني عليك وكتب الله لي
هذا اللقاء بك، فهل تقبلني يا ولدي أمأً ثانية الى
جانب والدتك البعيدة؟ علي أعوضك بعضاً من عطف
الأم وحنانها، ولو أنني لست أمك الوالدة؟ أرجوك
اقبلني، وإن كنت متأكدة بانني لا أملك عظمة روح أمك
وقوتها، والدة هذا الوجه المؤمن المنير.

أحس محمد بأن المسافات بين فلسطين ولبنان قد
طويت وأنه قد أصبح في رعاية والدته وحضنها الدافئ،
في حجرة الجلوس، قرب المدفأة يفتersh فرشة صوفية
سميكة. نسي أنه في زنزانة باردة وأنه يجلس على تخت
من طين.

نبهه صوت الحاجة الحنون، ما بك يا محمد؟ ألا
تقبلني مكان أمك؟ مدة سجنك فقط؟

. لي الشرف يا حاجة، ولكن مالك وهذا الحمل

الثقيل؟

لا أريد أن أحملك هذا الهم خصوصاً وأنت

ستعرضين نفسك الى مشقة

سفر طويل وعبور حواجز عديدة كي تصلي الي وأنا لا

أرضي لامي هذا العذاب.

. لا عليك يا محمد اني عاهدت الله أن أكون مكان

أمك قبل أن أقابلك وأرى هذا الوجه المؤمن الصامد،

ودمعت عيناها.

وعادت لتقول: أرجوك يا ولدي اقبلني.

ألم تجاهد لتحرير أرضك المحتلة والقدس نصب

عينيك؟

أنت أهل لكل حنان وان شاء الله أتمكن من تعويضك

بعضاً مما فقدت من حنان الام. ألم تفتقد لوالدتك؟

وانفجرت بالبكاء.

حدق في عيناها، وقال في نفسه يا الله لست أهلاً

لتمن علي بإنسانة فاضلة حنونة كهذه تعوضني بعض

ما أفتقده في أسري.

انفجرت الحاجة بالبكاء وأضافت: قطع قلبى يا

ولدى، لا أعلم ما الذي بات يجذبني اليك بقوة بعد أن

قابلتك.

وعاودت البكاء...

- حاجة آمنة كفاك بكاء أسأل الله أن يمدك بالعافية والقوة ويحشرك مع الصالحين، وأعدك بأن أكون ولدك المحب..

سادت الزنزانة برهة من السكون المعبر كسرتة الحاجة آمنة لتسأل: أخبرني يا ولدي قصتك وأرجوك أن تناديني أمي، ألم تفتقد هذه الكلمة وأنت بحاجة لتلفظها.

كيف لا بعد هذه المدة الطويلة في السجن؟
رب. كيف لي أن أجمع أفكارتي، ومن أين لي أن أبدأ بعد هذا الموقف وبعد هذا الدفء والحب، هل أترك غرفة الجلوس في منزل أهلي مجدداً؟
- محمد. ألا تريد أن تبدأ؟
- بلى يا حاجة.

بسم الله
كنت عضواً في مجموعة من مجموعات المقاومة الإسلامية، قمنا بعملية بتاريخ الرابع من كانون الأول من العام ١٩٨٧ لتحرير تلة تومات نيحا في البقاع الغربي.

رابطنا طوال تلك الليلة نحاصر موقع تومات نيحا حيث كان هدف العملية، وبعد إقامتنا صلاة الفجر قمنا بصب حرم القذائف على الموقع وبدأت المعركة.
كروفر، نصرخ الله وأكبر ونرميهم، فيردون بقصف



عشوائي على المنطقة كلها. بقي تبادل القصف بيننا حتى كدنا نحرر الموقع ولكن الطيران المعادي قام بطلعات تمشييط للمنطقة كلها.

وفجأة أحسست بسائل دافئ على وجهي ظننته عرق، ولكنني لم أعد ارى تحسسته فإذا هو دمي حاولت الوقوف فلم أستطع وصرخت الله أكبر، رد إخوتي الله أكبر إنسحب بسرعة فقلت لهم إنسحبوا بسلام لا طاقة لي على الوقوف ووقعت أرضاً.

لم توفق العملية بشكل كامل وأصبت بيدي ورجلي وراسي وكانت إصابتي بليغة بحيث لم أستطيع الانسحاب مع رفاقي. توسلت اليهم ان ينسحبوا قبل ان يأتي أفراد الجيش الإسرائيلي ويأسرونا جميعاً فانسحبوا رغماً عنهم وبقيت وحدي أفكر ماذا أفعل قبل أن يأتي اليهود، ولكن كيف الانسحاب واصابتي بليغة لا أستطيع الوقوف ولو لحظة؟!

. ماذا فعلت في ما بعد هيا أخبرني.

قبل أن يكمل محمد حديثه دخل الشرطي أخرج الحاجة وأغلق الباب.

رجع الى خلف يتحسس التخت والأرض والجدران، يا الله ليس هذا الفراش الذي كنت أجلس عليه والغرفة ليست غرفة الجلوس في بيتنا.
ما بك يا محمد؟ خاطب نفسه.

شكر محمد الحاجة، وضع الحقيبة عند أغراضه وجلس.

- ألا تريد يا محمد ان تكمل لي حديثنا حيث انتهينا؟

- أين انتهينا؟ لا أذكر؟

- انا أذكر، انتهينا عند خروج إخوتك من ساحة المعركة وانسحابك منفرداً رغم إصابتك البليغة.
- نعم تذكرت يا حاجة لنبدأ.

مررت بمحطات عديدة في أثناء انسحابي الى أن رسوت هنا منتظراً يوم خروجي الذي حددته لي سلطات العدو القضائية، عند مثولي أمام محكمة اللد العسكرية في ١٩٨٨/١٢/٤ والذي قض بسجني مدة سبعة عشر عاماً.

- لقد عرفت مدة الحكم الصادر بحقك من إخوانك، ولكن أريد أن تخبرني كل شيء عنك، منذ ولدت وحتى اليوم.

- أخبرني عن الأم التي ولدتك، عن الأب الذي رعاك عن البيت الذي احتضنك، عن الحي الذي نشأت فيه. وغصت بدمعة حارقة.

- انا بالخدمة يا أمي.

إسمي الكامل محمد عباس البرزاوي.

ولدت في مدينة بعلبك، تسمعين ببعلبك؟ في الثالث

من شهر أيار من العام ١٩٦٥ في حي من أحياء المدينة سمي بإسم مرجع ديني راحل «الشيخ حبيب آل ابراهيم» الذي كان من أوائل من سكن هذا الحي وبنى مسجداً يقيم فيه حلقات التدريس، وما زال يحمل إسمه حتى الآن.

نشأت في كنف عائلة مؤمنة متواضعة مكافحة. فوالدي كان جندياً في الجيش اللبناني يغيب عن المنزل في أثناء دوام الخدمة. فتكفلنا أمي التي تتمتع بروح المسؤولية الصارمة. كانت دقيقة في تعاملها معنا وأوامرها يجب أن تنفذ، وكانت قوية في الامسك الأسرة. وهذا لا يعني أنها ليست أماً رؤوفاً فهي تجمع بين حنان الأمومة والجدية والدقة في التربية. وكانت تشدد على نوعية الأصحاب وتنهانا عن مصاحبة غير الصالحين.

تتألف عائلتنا من ثلاث بنات واربعة صبيان.

- حدثتني عن أمك ولم تحدثني عن أبيك.

- أبي الحنون، رحمه الله..

أمسك محمد رأسه بيديه وبدأ يلوج بنفسه. لم تستطع أن تفهم من كلامه شيئاً إلا كلمة أبي، وعاد ليقول، رحمه الله. وصمت ضاغطاً بيديه على رأسه. تلملت الحاجة في جلستها وأعادته الى الخلف وسألته: هل أفهم من كلامك انه توفي؟

لشدة انسه بها كان يحس بأن خطواتها قادمة نحو
الزنزانة لا مبتعدة عنها.

تضرع الى الله ليساعده على قضاء اسبوعين ليراها
مرة أخرى.

أحس بان شيئاً سيحدث خلال هذه المدة. ما العمل
مع هؤلاء ليس له إلا ان يلجأ لأنيس المحبين.

«يا أنيس من لا أنيس له يا جليس من لا جليس له،
ساعدني يا رب العالمين».

حافظ على قوتك يا محمد فأنت لم تعتد الضعف،
والليلة الجمعة.

لم ينعم بما كان يحلم به من خلوة، لأن الشرطي فتح
الباب وادخل سجينين الى الزنزانة التي كانت بالكاد
تتسع لسجين واحد. وهذا كان دأب الصهاينة لإفتيال
المشاكل بين السجناء، أغلق الباب وصرخ: الضابط
يقول: "ما بدنا مشاكل، برزاوي سمعت"!

كانوا يظنون أنهم إذا ادخلوا اللبناني الى زنزانة
الفلسطيني أو العكس تقع فتنة ويقومون بالعقاب
لأنهم كانوا يتعطشون لإيذاء السجناء.

ولكن ولله الحمد لم يذكر أنه اختلف يوماً مع أحد
من السجناء الذين شاركوه زنزانته، فقد كان يستغل
أوقاته بالقراءة والدعاء والمناقشات الدينية والسياسية.
وكانت كل الكتب تصله بوساطة الصليب الأحمر.



كان جهاز التلفاز في الزنزانة يلتقط معظم محطات العالم فكان يتابع الأخبار دائماً ويناقش مع السجناء بما يدور في العالم، يذكر ان قراءته كانت متنوعة دينية وأدبية وأخلاقية وتاريخية الى جانب تعلمه اللغة العبرية. والمهم نه كان يقيم وزملائه الجلسات القرآنية التفسيرية وغيرها وخصوصاً في شهر رمضان المبارك. وكان من نعم السجن الإفرادي عليه أنه استطاع حفظ القرآن الكريم حتى بلغ سورة الملك.

صدق إحساسه هذه المرة ولم يستطع أن يخلو بنفسه كالعادة مع أنه وجد النزلاء الجدد لطفاء وعلى درجة عالية من الأخلاق.

مضى اسبوعان والشرطي يخلق له ما يمكن أن يوقع بينه وبين زملائه في الزنزانة من دون أن يفلح.

اليوم السبت ومن عادة اليهود في مثل هذا اليوم أن يرتاحوا ويغضوا النظر عن السجناء. ومن محاسن الصدف أن تأتي الحاجة آمنة في اليوم نفسه لزيارة محمد.

كان زملاؤه في الزنزانة قد اشتاقوا للتعرف اليها بعدما أخبرهم عن عظمة روحها وإيمانها فدهشوا كثيراً ولم يصدقوا.

قال لهم أدعوا الله لتأتي فإن حدسي يقول لي يقرب موعد الزيارة.

لم يكمل حديثه حتى أتى الشرطي وقال: «زيارة، ما بدنا مشاكل وإلا الرجعة للإفرادي».

بدوًا يتكهنون معرفة الزائر، ولمن تكون الزيارة، فقال لهم إن شاء الله الحاجة آمنة فهذا موعداها .
الحمد لله ..

. ألم أقل لكم أنها ستاتي، قال محمد . دخلت الحاجة .
ألقت السلام وقالت:

. كيف حالك يا ولدي ؟

. الحمد لله انك لست وحيداً ..

. يا حاجة، إنهم لطفاء جداً إطمئني، فبدروأحمد إخوة لي .

عرفها محمد الى أحمد وبدن .

. يا أولادي اعتنوا بمحمد جيداً فهو اهل لكل إحسان ومحبة .

كلكم فوارس شجعان يجمعكم هم واحد . ولكن ما يميزه عنكم شيء ولا أعرف قراءته، ملمح غامض في وجهه وأنا متأكدة أنه سبب أهتمامي الزائد به فإنني لا أغادر السجن حتى أبدأ بالتخطيط للزيارة القادمة .
احضنوه جيداً .

. محمد لست معنا! ما بك ؟

. آه، بلى! ولكنك عدت بي الى المصطبة أمام منزلنا في حي الشيخ حبيب حيث كنا نجلس أنا وإخوة لي في



المقاومة يأتون لزيارتي دائماً وكانت أمي تجلس معنا
نتحدث في الأوضاع والمواقف، هنا أنت وبدر وأحمد
وهناك الحاجة فهيمة، أنا وعلي وحسن.
يا الله ما أبعد المكان وأقرب الذكرى.
سادت الزنزانة لحظة سكوت قطعتها الحاجة
بالسؤال: ألا تريد أن تكمل لي الحديث فإنني على شوق
كبير لإكماله واذكر أين انتهينا بالضبط.
وأنا متأكدة أن بدر وأحمد يعلمون بعض ما
سيسمعوناه ولكنهم سيأمنسون بحديثك.
كنت تحدثني عن إنسحابك منفرداً بعد خروج
رفاقك من أرض المعركة.
نعم تذكرت ولكنه حديث طويل.
لا تهتم أدع الله أن يعمي بصرهم عنا. فاليوم السبت
وأنا قصداً قمت بزيارتي في هذا اليوم، لأنني بشوق كبير
لسماع قصتك.
كل مرة يقطع حديثنا لعنه الله.
إجلس ولا تضيع الوقت. ضع هذه الأغراض جانباً.
سم بالله إتكل عليه وأبداً.
أكملت الإنسحاب من أرض العملية وكان الإنسحاب
زحفاً لأن إصابتي كانت بيدي ورجلي ورأسي، أضعت
الطريق وبدل أن أتجه نحو الأراضي المحررة أتجهت نحو
الأراضي المحتلة ومن دون أن أعلم.

وصلت الى قرية كفرحونة المحتلة وكانت رغبتني أن أطلب سيارة إسعاف تنقلني الى المستشفى. وجدت سيارة مدنية متوقفة أمام أحد المنازل. طرقت الباب فخرج الي رجل وقال لي: صاحب السيارة موجود في المنزل الثاني ودلني عليه. زحفت من جديد وعندما وصلت طرقت الباب فخرج طفل صغير وقال لي صاحب السيارة في المنزل المجاور.

توقفت عن الزحف قليلاً وفكرت مستغرباً. إن وراء هذه السيارة لغزاً. تريثت قليلاً قبل أن أطرق الباب حتى لا أفاجأ بما يكن في الحسبان، ولكن قواي التي أنهكت من الزحف دفعتني لأطرق الباب. ردت علي امرأة وما أن رأته حتى تركت منزلها وركضت مسرعة الى منزل مجاور، بلغت عني. خرج بعد قليل رجل مسلح ناداني، وأطلق النار في الهواء ثم على رجلي عندما لم أرد على أسئلته. ولكنه عاد ليسأل، من أنت؟

- قلت له: أصبت بحادث سير وتركوني أنزف مرمياً على الأرض أريد المساعدة. لم يصدقني وصرخ بوجهي من انت؟ وأنا لا زلت أجهل من هو. فقلت له: إني عنصر من حزب الله..

- فقال: معك لحد.

وما إن نطق تلك الكلمة حتى أحسست أن حياة الأسر قد بدأت أدخلني الى المنزل.



. هل أدخلك ليضمد جراحك ؟
 . لا يا حاجة. سحبني الى غرفة فيها أغراض كثيرة
 ونفايات وضعني فيها وبدأ ضربني حتى تعب.
 . لا تكمل يا ولدي وانفجرت بالبكاء.
 شلت يداه، كيف طاووعه قلبه على ضربك وانت بتلك

الحال ؟

يهودي حقير، أجهز على أيد عشقت زناد السلاح.
 وعلى أرجل اعتادت تسلق الجبال، وجبهة لم تعتد
 السجود لغير الواحد القهار.
 . أكمل. ومسحت دمعة عن وجنتها.

. أخرجني بعدها الى سيارة لاند عسكرية، وانطلق
 بسرعة. مر بطريقه على تجمع لحدي بحالة الإستنفار
 فلما علموا أنني أسير من حزب الله تناول أحدهم قطعة
 حديدية وضربني بها على رأسي بوحشية غريبة وأغلق
 باب السيارة وانطلق السائق ليكمل سيره. وصلنا الى
 موقع إسرائيلي فسلمني للحرس هناك.

وضعوني في سيارة اسعاف واتجهوا بي نحو فلسطين
 المحتلة، حيث كنت أغيب عن الوعي من حين لآخر.
 كان وضعي متدهوراً جداً. أدخلوني الى المستشفى
 وبقيت فيها ثلاثة أيام أخضعت لعلاج مكثف جداً،
 وعناية مركزة حرصاً منهم على أخذ المعلومات للإفادة
 منها.

عليه. في صباح اليوم التالي جرى تبديل لأفراد شرطة السجن، وكان الجدد ممن يخدمون لأول مرة في سجن عسقلان. كان يوماً حافلاً بالمناوشات معهم. عند الظهيرة أراد الله أن تأتي الحاجة وتريحهم مما يعانونه بعض الشيء، ولكن كيف وصلت؟

جاء الشرطي طرق الباب وصرخ. وكان النظام داخل السجن يقضي بأن يقف السجين ووجهه الى الحائط والكيس الأسود برأسه عندما يسمع صوت الشرطي. لم أضع الكيس عندما طرق الباب ولم أقف، صرخ الشرطي: «انت ما بيعرف نظام، كيس براسك ونحو الحائط». فلم أرد، عاد ليصرخ فلم ارد فدنوت منه خطوة أوهمته بأنني أريد أن أضربه فرجع خطوة، دنوت أخرى فرهارياً يصرخ واغلق الباب.

فضحكت عالياً.

عاد شرطي ثان طرق الباب، صرخ برزاوي زيارة. تنفست بفرح وقلت في نفسي إنها الحاجة آمنة فأنا لا أهل لي في هذا البلد سواها. خصوصاً أن موعد زيارتها قد قرب. كنت مستغرقاً بالتفكير عندما وجدت الحاجة تقف امامي أدخلها الشرطي وأقفل الباب. لم تجلس الحاجة كعادتها إلا بعد أن قلت لها تفضلي إجلسي..

. فجلست وقالت: «قبل كل شيء أريد أن اسالك، ألم

تكن في الزنزانة:

. قلت بلى..

. فقالت منذ ما يقارب الربع ساعة وانا واقفة في

الخارج انتظر الإذن بالدخول فقد تعبت أعصابي،

أشعلت قلبي فليست العادة أن يأخروني هكذا.

أشعلت قلبي يا محمد

عبارة كنت أسمعها دائماً عندما أعود من المدرسة

متأخراً وبالذات يوم تأخرت في المدرسة كثيراً وقبيل

غروب الشمس رجعت لأجد والدتي الحاجة فهيمة

جالسة تنتظرني أمام المنزل، فقالت لي: «أشعلت قلبي يا

محمد لماذا تأخرت؟ هل أصابك مكروه؟».

العبارة نفسها تتكرر والقلق واحد في قلب الإثنتين

أمي فهيمة والحاجة آمنة.

استغراق محمد بالتفكير جعل الحاجة تتساءل : لماذا

يعاملني محمد بهذه الطريقة هذه المرة؟

. ما بك يا محمد لم هذا الجفاء؟ ألم تسر بزيارتي؟

. عذراً يا أمي، أرجعني كلامك سنوات وسنوات الى

الماضي.

أمي! سألت دمعة على وجنة الحاجة وقالت: أمي!

لطالما تمنيت ان أسمعك تلفظها ولكنني لم اجرؤ

على طلبها منه.

سادت الزنزانة فترة من السكوت المعبر. قطعه محمد بقوله: أخذني كلامك إلى مدخل منزلنا في بعلبك حيث كانت الحاجة فهيمة تنتظرني.

- لماذا يا محمد أخبرني.

- كنت يا حاجة ولداً شقيماً في أثناء طفولتي. اضطررت في أحد الأيام للتأخر في مدرستي، «مدرسة جنة البراعم» القريبة من منزلنا وعند عودتي إلى المنزل وجدت والدتي الحاجة فهيمة جالسة أمام الباب. وإذا بها تصرخ بصوت متقطع حزين: «أشعلت قلبي يا محمد».

لماذا تأخرت هل حصل لك مكروه؟

- وما الذي أخرجك عن أمك فهيمة؟

كتب الاستاذ إسمي على دفتر التقصير بسبب مشاغبتني في الصف. وكان هذا الدفتر يرفع إلى الإدارة نهاية اليوم ليستدعي أولياء الأمور، وهذا ما لا أريد أن تعلمه والدتي لأنها كانت قاسية في مواقف كهذه.

المهم أنني بقيت متخفياً في المدرسة حتى خرج جميع الطلاب فدخلت من نافذة غرفة الناظر ومزقت ذلك الدفتر اللعين ثم مزقت الدفاتر كلها حتى لا يظن بي الناظر.

وفي اليوم التالي فصل الناظر العام جميع الطلاب حتى يسموا مرتكب هذه الجريمة.

. كنت ولداً شقيماً يا عزيزي؟

. لم أكن شقيماً يا حاجة ولكني كثير الحركات الصبانية.

. الحمد لله يا ولدي أنك وبرغم ما تعانيه من ظروف قاسية رجعت الى روح الطفولة البريئة وأتمنى أن تخبرني في كل مرة آتي لزيارتك أنك فعلت بهؤلاء الأرجاس شيئاً من حركاتك، ولكن أرجوك لا تعرض نفسك للأذى فإنهم لا يرحمون.

رب عوض الحاجة فهيمة ولدها بسلام لتقر عينها فصعب ما تتحمله من ألم الفراق لهذا الشاب الولد الصامد.

. عزيزي محمد لقد أحضرت لك بعض الخبز الذي خبزته اليوم بعد صلاة الفجر، وبعض الفاكهة أرجو أن تعجبك.

. لماذا يا حاجة في كل مرة تكلفين نفسك مشقة حمل هذه الأغراض وقطع المسافات والحواجز.

. هذا شيء قليل يا ولدي، أتمنى لو أنني أستطيع أن أقدم لك الأكثر فأنت تستحق كل عناء وتعب. أتمنى أن أدخل السرور الى قلبك الصامد وقلب والدتك الحنونة المؤمنة. تلك الكبيرة التي ربت هذا الانسان الصامد.

. ولدي محمد أعود الآن لأزعجك بالسؤال. هل تعرف أنني كلما خرجت وفي اللحظة التي أترك فيها السجن

أدعو الله ان يسهل لي العودة حتى أكمل حديثي معك؟
شوقي كبير لأعرف ما حصل معك؟

- تركتك المرة الماضية وأنت في المستشفى تتلقى

العلاج.

- تذكرت.

أخرجني الغزاة من المستشفى بعد ثلاثة أيام من
العلاج الى سجن الجلمة بشمال فلسطين وكان هذا
السجن المحطة الأولى والأخيرة من حياتي في السجون
الإسرائيلية، وهو يقع بقرب الحدود اللبنانية. بقيت في
هذا السجن ليلة واحدة وفي ظهر اليوم الثاني جاء
رجال الشرطة وأخرجوني الى زنزانة التحقيق وفي هذه
الزنزانة كان يجري التحقيق معي بسرية تامة.

كانت غرفة التحقيق صغيرة تتسع لطاولة مكتب
يجلس خلفها المحقق وفسحة صغيرة أمامها بحيث لا
يستطيع السجين الحركة أمام المحقق.

كان المحقق «أبو النور» أسمر اللون أفتس الأنف ذكي
وبارع جداً في مهنته، وهو بمنتهى الخبث والدهاء كغيره
من المحققين والضباط اليهود فقد كان يشعرني بالأمان
لأبوح بكل ما أعرفه وكان حريصاً بالمحافظة على هدوئي
يشعرني بأنه والدي الرؤوف الودود الذي يريد مصلحتي
ويتمنى لي الخلاص.

مرت هذه العملية بسلام ولم أتعرض لضغوطات



خطيرة، لأن المخابرات لا تملك ملف معلومات عني، كانت عملية مرحلية كنت فيها بمنتهى الإطمئنان لأنني لم أبح بأي معلومة.

استمرت مدة التحقيق ثلاثة أشهر ونصف أخرجوني بعدها الى سجن «الجلمة» مرة أخرى وفيه تسلمت لائحة الاتهام من المدعي العام العسكري. كانت التهم هي الانتماء لحزب الله والتدريب والمشاركة بعمليات ضد الجيش الإسرائيلي.

بقيت في سجن «الجلمة» مدة ستة أشهر نقلت بعدها الى سجن «الرملة» بمنطقة اللد. بقيت في هذا السجن سنة كاملة كنت أتردد فيها على المحكمة من حين لآخر لمناقشة القضية مع القاضي العسكري وكانت الجلسة تعقد بحضور ثلاثة قضاة ومترجم وتكررت هذه المحاكمة ثلاث مرات خلال تسعة أشهر. وبعد صدور الحكم نقلت من قسم الى قسم آخر من أمام السجن الداخلية.

وفي نهاية المطاف أتوا بي الى هنا الى «سجن عسقلان» ومنذ تلك اللحظة بدأ الاعتقال الرسمي. وبدأت معاناتي من المناخ الساحلي الرطب الذي يؤذيني كثيراً فأنا بعلبكي، ومناخ مدينتي جاف كما هو معروف. فجأة يخرق الهدوء صوت يدوي من أول الممر يأمر الزائرين بالخروج.

. أرجوك يا حاجة يبدو أن الشرطي قد بدأ يخرج

الزائرين جهزي نفسك للخروج قبل أن يأتي ويرفع
صوته أنا لا أتحمل يرفع صوته بوجهك.

. كما تريد يا ولدي ولو أن حديثك قد أنساني مرور
الوقت. لا أريد الخروج. لكن لعنهم الله.. استودعك الله
يا ولدي..

توضأت وجلست أناجي الله، أجمل لحظات الخلوة
الروحانية العظيمة كانت في السجن الإنفرادي، ولا
أستطيع القول إلا أنها لحظات سعادة عظمتها
وشفافيتها لا توصف ويمكنني أن أوجز وصفها بكلمات
قليلة،

«إنها سعادة دار الدنيا، لو علم الأشقياء بها وبلذتها
لقاتلونا عليها». لم يقطع تلك اللحظات سوى
الصدامات التي كانت تحدث مع إدارة السجن. فهم دائماً
يخططون، ويمكرون ويحتالون علينا ونحن نصبر.

كان اليهود يخافون كل سجين يجلس آمناً مطمئناً
ويأتون بثلاثة سجناء أو أكثر يضعونهم إليه في زنزانه
حتى ولو كانت مخصصة لسجين واحد (السجن
الإنفرادي).

كنت كلما خرجت الحاجة آمنة أجد معنوياتي على
جانب عظيم من القوة فألجأ الى الله تعالى لآنس
بمتعة العبادة. وكان ذلك يوقد غيظ اليهود الجبناء.

أتو بثلاثة سجناء وأدخلوهم الى الزنزانة التي كانت

بالكاد تتسع لي. رفضوا ورفضت، لأنهم سيتسببون لنا بحالة اختناق لا محالة، فلم يأبه اليهود لطلبنا وفتحوا علينا أنابيب الغاز ليسببوا لنا حالة اختناق، ولكن عندما بدأوا بتصويب الغاز نحونا لم يعلموا انهم بدأوا يمدونا بغذاء روحي عظيم جداً.

ضيوف هذه المرة هم ناجي ومصطفى وحسن. لم يكن ضيوف هذه المرة بأقل مستوى من ضيوف المرات السابقة ولكن ما أثلج صدري كون أحدهم مسؤولاً في الجهاد والاثنان في حماس.

بعد أن تعارفنا وتسامرنا بتبادل الأخبار أخبرتهم عن الحاجة آمنة والعلاقة التي تربطني بها ومدى صدقها واخلاصها.

لا أعلم كيف انقضت المدة الفاصلة بين زيارتي الحاجة. فقد كنا على جانب كبير من التفاهم أنا ورفاقي الجدد ولو يعلم اليهود بالقوة التي يمدوننا بها عندما يعاقبوننا بالغاز لما فعلوها أبداً.

ففي كل يوم كنا نصبح على تفاهم وتخطيط جديدين.

ساد هذه المدة هدوء ملحوظ فاليهود كان يفصلون قليلاً بين عقاب وآخر. ذات صباح كان الشرطي الموكل بحراسة زنزانتنا يجلس أمام الزنزانة ولم يفارق لحظة، إلا عندما صرخ له آخر من الخارج زيارة للزنزانة رقم

١٢٠، إستلم الزائر ولا تترك المكان أبداً.

من الزائرياً ترى؟

أمي آمنة ومن غيرها.

دخلت الحاجة آمنة ولكن هذه المرة بلهفة غريبة،

فوجئت بوجود الثلاثة معي.

بعد أن سلمت علينا جميعاً سألتني على إنفراد، هل

أنت مرتاح مع هؤلاء النزلاء الجدد؟ فطمأنتها.

فوجئت بالتفاهم والإنسجام بيننا خصوصاً بعد أن

أعلمتها أنهم من حركة الجهاد الإسلامية وحماس.

سرت الحاجة آمنة وقالت: «الحمد لله، حصنتك

بمدينة لا إله إلا الله محمد رسول الله من كل مكروه

وظالم لئيم».

ارتاحت، عادت وسلمت من جديد على السجناء

وسألتهم عن أحوالهم.

والآن جاء دور الحاجة فقد تغيرت طبيعة الأحاديث

والأسئلة بعد أن اطمأنت وكان في جعبتها هذه المرة

أخبار كثيرة.

- هيا يا حاجة ماذا أحضرت لنا من أخبار؟

جلست الحاجة آمنة جلسة الواثق المنتصر وبدأت

وكأنها تجلس على عرش ملكي عظيم، أصلحت مندليها

بلفتة سريعة وبدأت بالحديث..

- أحضرت لكم أخباراً ترفع الرأس الى عنان السماء،

وأشعر بأنني مع سروري بالخبر الذي سيتلج قلب
الحاجة فهيمة فأن قلبي قد انقبض، لأنني احس بأنني
سأفتقدك يا محمد، ولكنني متأكدة أنني إذا أمد الله
بعمري حتى تحرير الأقصى الشريف سأجذك وأسمع
أخبارك من المجاهدين الشرفاء.

أثرت فضولي يا حاجة ما الذي حدث، وما هي
الأخبار؟

. ألم تسمعوا الأخبار اليوم؟

قهقه الثلاثه بضحكة عالية اعتذروا بعدها من
الحاجة وقالوا: لم نسمع الأخبار يا حاجة لأن اليهود
عاقبونا بفتح أنابيب الغاز علينا كي يخنقوننا ولكن
باللحظة التي صوبوا فيها الغاز نحونا لم يعلموا أنهم
أمدونا بجرعة عظيمة جداً من الغذاء الروحي.

ابتسمت الحاجة وقالت: «الحمد لله لقد زدتم فرحي
وسروري».

. نرجو المذرة يا حاجة فقد قطعنا حديثك.

. الخبر السار اليوم هو أن المقاومة الإسلامية في
لبنان قامت بعملية جريئة في قرية لبنانية محتلة في
جنوب لبنان تسمى «أنصارية» وسميت العملية بإسمها
وكانت ناجحة جداً، فبالإضافة الى نجاحها العسكري،
فقد أسر أسود المقاومة الإسلامية عدداً من الجنود
الصهاينة، ومنذ سماعي ذلك الخبر شعرت بأنني

في اليوم التالي جاء الشرطي يراقبه على غير عادة وهو يراقب التلفاز ويقوم بحركات استفزازية يهدف الى افتعال إشكال معه لينتقم، فلم يآبه لذلك ولم يعره أي إهتمام فملّ وابتعد.

بعد ان ملّ الشرطي من هدوئه وعدم إكترائه به. غاب قليلاً ورجع برفقة ثلاثة سجناء أدخلهم الى الزنزانة وقال: «برزاي راقب أخبار». لم يعلم أنه أحضر لي إخوة ورفاق جهاد.

جلسنا، تعارفنا، ولحسن الحظ كان احدهم مسؤولاً في حماس والآخران مجاهدان في الجهاد الإسلامي. الحمد لله الآن أصبح للأخبار طعم آخر، فمعي من يشاركني الهم.

تابعنا الأخبار خبراً بخبر وتداولنا بما يمكن أن يحدث وكنت ألتمس في كلامهم شدة الارتباط بالقضية والمحافظة على الخط الجهادي، لكن ما هز مشاعرنا وعزز قلوبنا بروح الثأر انتقام الجيش الإسرائيلي المجرم من الشعب المسلم اللبناني وعمليات المقاومة الإسلامية التي كانت تدفع ثمناً غالياً لا بد منه في سبيل العزة والكرامة.

كان الإنتقام مجزرة في قانا وقبلها مجزرة في النبطية (صاروخ على سيارة إسعاف) هزت وحشيتهم العالم، لكن لا يهم ما خسروا ونخسر بعين الله.

قضينا أنا والأخوة في الجهاد وحماس أجمل لحظات الجهاد في توتير أعصاب اليهود داخل الزنزانة.

استغرب الشرطي هذا التفاهم والهدوء والقلق المشترك بمتابعة الأخبار وبدا كعادته يفتعل المشاكل ليوقع بيننا. ولكي نرهبه اتفقنا على طلب السجن الإنفرادي حفاظاً على سلامتنا ودوام الإتصال بيننا للتفاهم.

اذعن اليهود لطلبنا وإتفقنا ان نتواصل عند خروج أحدنا الى العيادة، أو بوساطة عمال المطبخ الذين كان بعضهم معنا بشيء من الإنسانية لأنه مجرد مرتزق سيحصل على راتبه نهاية الشهر مهما حصل.

عدت الى السجن الإنفرادي مجدداً.

بعد انتهاء حرب عناقيد الغضب وهزيمة اليهود بعقد تفاهم نيسان الذي وضع به المقاومون في حزب الله توازناً للرعب، وأصبح الإسرائيليون يحسبون كل خطوة يفكرون القيام بها حتى ضد السجناء اللبنانيين.

ولكني كنت أرى بعيومهم الحققد وروح الإنتقام، وأذكر مرة تمنعت فيها عن إطاعة أوامره فافتعل مشكل وعاقبني بالغاز ثلاثة أيام على أمل اختناقي ولكنه لم يُفلح وازددت قوة وصموداً في زنزانتني.

توالت الأيام على الوتيرة نفسها. فكل يوم يحاولون الإنتقام فيتعاملون معنا بما يشعر السجين بأنه حيوان

إحتار محمد بأمره ماذا يفعل فالحاجة ستنهار،
 أوجعت قلبه آلمته، لا تتركها يا محمد لا تتركها.
 أرجوك يا حاجة لا تفعلي بنفسك هكذا فأنا لا
 أستطيع رؤية أُمي بهذه الحالة أرجوك أنا لا أستحق ذلك.
 كيف يا ولدي فأنا أشعر بأنك من عباد الله الخُلص
 الذين سيماهم في وجوههم.
 قرت عين الحاجة أمنة برؤية محمد سالماً وارتاحت
 لأنها ستزفه بشري تسعده كثيراً.
 - ولدي محمد الحمد الله أنه لم يمسك أية مكروه
 وآمل أن يحتسب لي ما سأزفك من بشري وأدخل السرور
 الى قلبك، وأنا متأكدة من ذلك.
 - ما هي يا حاجة؟
 - عزيزي محمد، هل لديك جهاز تسجيل؟
 - نعم.
 استدار محمد ليحضر الجهاز وهو يفكر، ماذا
 احضرت؟
 عاد حاملاً جهاز التسجيل وقال: «ماذا أحضرت لي يا
 حاجة؟»
 أثرت فضولي.
 - قالت: «أعطني الجهاز إذا سمحت وسأخبرك».
 وضعت الحاجة الشريط في المسجل وقبل أن تضغط
 زر التشغيل قالت:

«سم بالله وصل على محمد».

فعلت. فكبست الزر.

السلام عليكم، أصابتني رعشة غريبة وقلت لها بالله عليك ما هذا الصوت وأوقفت المسجل.

قالت أستهد بالله يا عزيزي واسمع. عادت وضغطت زر التشغيل لتكمل.

«السلام عليكم، حبيبي محمد كيف حالك، أنا أمك فهيمة، تذكرت صوتي، اشتقت لك كثيراً، شو عمل فيك اليهود سمعني صوتك يا حبيبي، أنا أدعو الله ليل نهار لأسمع صوتك قبل موتي. حبيبي محمد الله يرضى عليك رضى قلبي وربى، رد علي يا محمد، اليهود حرموني حتى صوتك ولكن أملي بالله كبير.

يا حبيبي بدي وصيك: إبق صامد مقاوم، قاوم اليهود اصمد يا محمد».

أوقفت الحاجة المسجلة وسادت الزنزانة لحظات من البكاء الواضح قطعه الشرطي اللئيم نفسه بأمر الحاجة بالخروج بالقوة. أخذت الحاجة الشريط معها ولم ترضى بتركه وقالت، الزيارة القادمة أشرح لك كل شيء.

«الله يرضى عليك يا محمد، وانفجرت بالبكاء عالياً».

عبارة عادت بي الى المنزل حيث كانت والدتي الحاجة

فهيمة تودعني دائماً وتقول: «اللّٰه يرضى عليك يا محمد
رضى قلبي وربّي، بيض وجهي وأبق مرفوع الرأس».

هل سأسمعها من جديد؟

ما أقربك يا حي الشيخ حبيب!

اللّٰه كريم يا محمد فهو القادر على كل شيء سيكون
معك دائماً ما دمت معه فلا تهن ولا تحزن.

ناجيت اللّٰه بكيت كثيراً، ولكنني وقعت في حيرة من

أمري، ما الذي اسمعته الحاجة؟

أنا متأكد أنه صوت أمي الحاجة فهيمة ولكن كيف

حصلت عليه هل أنا في حلم أو علم.

رغم هذا الضياع فالحمد لله سمعت صوتك يا حاجة

فهيمة افتقدتك كثيراً افتقدت سماع «حبيبي محمد اللّٰه

يرضى عليك رضى قلبي وربّي، ويوفقك كيف ما توجهت».

هل سيطول أسري، هلى سأراك؟!

لم أعد أشعر بكل ما يجري حولي فسماع «ولدي

محمد» أعطاني دفعاً جديداً من القوة والاندفاع فأنا

متأكد انه صوت والدتي ولكن كيف حصلت عليه الحاجة

آمنة؟

مرت الأيام وأنا في حيرة من امري ومهما يكن من

أمر فقد قرب موعد الزيارة القادمة واستبشرت خيراً

بتبديل الشرطي اللّثيم بواحد أقل لؤماً.

جاء الشرطي وقال: «برزاي زيارة لك».



وإذا بوجه الحاجة الصبح يطلّ علي.

دخلت ولكن هذه المرة دون دفع الشرطي. لها فكانت مرتاحة أكثر من المرة الماضية، فلم يوقفها اليهود كثيراً عند نقطة التفتيش.

بعد السلام وقبل أن تقول ماذا أحضرت لي معها كالعادة، لم استطع الصبر وسألتها كيف حصلت على صوت أمي.

قالت الحاجة: «قبل البدء بالحديث خذ هذه الأغراض فقد أحضرت لك حلوى صنعتها بنفسي، وخبز مرقوق طازج.

أصلحت الحاجة منديلها، نظفت جلبابها الأسود من غبار الطريق وجلست.

. عدت أسألها بلهفة قولي لي يا حاجة، كيف حصلت على صوتي أمي؟.

. لماذا أنت مستغرب يا ولدي، ألم تعطني رقم هاتف

أهلك في بعلبك؟

قلت: بلى..

قالت: منذ مدة طويلة وأنا أفكر كيف لي أن أمدك بقوة إضافية، كيف أقدر أن أعوضك الحنان مباشرة من والدتك، الله يعلم أنني أحس بك مثل ولدي وفي كل مرة أتركك فيها كنت أقضي الوقت ساهمة مفكرة حتى أرجع، وكيف أؤمن لك ولو سماع صوتها الذي حرمت منه.

وما دفعني الى تأمين صوت أمك قلقي عليك، لأنني عندما أتيت ولم أجدك ولم يخبرني أحد عنك، فتشت فوجدت رقم هاتف أهلك في بعلبك لكي أعلم خبر عنك فقد رجوت الله أن تكون قد خرجت من السجن ولم تكن قد أصبت بأي مكروه..

ذهبت الى البريد طلبت الرقم حصلت عليه أجابتنني اختك وقالت أن اسمها سعاد وهي متزوجة وكانت بزيارة لوالدتك.

عرفتها على نفسي فدهشت، وسألتها ما أخبار محمد في السجن فإني منذ مدة لم أتمكن من زيارته أخبريني عنه فقالت: أخبرك أنا!

الأخبار عندك، أنا أريد أن أسألك.

وبعد أن تحدثنا كثيراً قلت لها أن ما أريده هو تسجيل صوت الوالدة لإسماعه لمحمد في غربته ليطمئن ويقوى على المقاومة.

تكلمت مع الحاجة وسجلت صوتها وكانت مسرورة جداً لهذه الفكرة واتفقنا على أن نسجل في مرات قادمة صوتها وصوت اخوتك واخواتك.

لا أصدق أنه يوجد إنسانة في هذا العصر على هذه الدرجة من العظمة والشفافية والحنان. هل هي من هؤلاء البشر؟

- أعدك يا محمد بانني سأحاول في المستقبل أن

أمدك باتصالات جديدة أدع الله فأنا متأكدة أن صفاءك
والتزامك والملح الغريب في محياك هو الذي يسر لي
ذلك.

- عزيزتي أمي آمنة.

أرجوك لا ترهقي نفسك بشيء ولا تعرضي نفسك
للعذاب والإهانة من أجلي.

لا تقل ذلك يا محمد فأنا أمك الثانية وقد عاهدت
الله على ذلك والآن أعطني اذا سمحت حقبة الأغراض
لأرشدك كيف تحتفظ بها، رتبنا الأغراض ثم جلسنا.

رتبت الأغراض والحاجة ترشدني كما كانت ترشدني
والدتي الحاجة فهيمة عندما نرتب سوياً الأغراض في
حقيبتني للخروج في دورة.

يا إلهي كل مرة بلفته صغيرة تعود بي الحاجة آمنة
الى الحاجة فهيمة.

- هيا يا محمد لماذا تاخرت سيداهمنا الشرطي.

تعال أخبرني كيف قضيت هذه المدة؟ هل عذبوك
بالغاز، هل أرهبوك أكثر من المرات السابقة؟

لم أكد ابدأ بالحديث حتى صرخ الشرطي: «الضابط
بيقول، كل الزوار برا».

ولدي محمد لا أريد الخروج، وأنا لا أحب ذلك ولكن
لعنهم الله وبينما كنا نتحدث جاء الشرطي وأخرج
الحاجة بالقوة.

لم يمر كثير من الوقت حتى جاء الشرطي وأمرني بالخروج، ولم يخبرني الى أين.

خرجت ولكن هذه المرة لم تكن كغيرها فقد طالت مدة شهرين في زنزانة التحقيق في سجن الجلعة، أرجعوني بعدها الى عسقلان ولكن مصطحباً معي هذه المرة الحكم الأخير.

كان وقع الحكم صعباً كوني لن أخرج قريباً ولكن أمني بالله كان كبيراً بأن أعود الى المقاومة وبرغم الحكم كانت معنوياتي عالية جداً لطبيعة جلسة الحكم.

خلال تلك الأيام تصاعدت العمليات ضد الإسرائيليين في لبنان وأصبح اليهود يمسون على هزيمة ويصبحون على أخرى الى أن جاء اليوم الذي فر به آخر جندي من قسم كبير من الأراضي اللبنانية.

مع سماع هذه الأخبار الجميلة المفرحة شعرت أنني بحاجة لأقابل أحداً من مجاهدي الجهاد فلم أستطع وصادف أن موظف المطبخ الذي كان يساعدنا بإيصال المعلومات كان بإجازة خارج السجن وكانت طويلة، ولم يستجب اليهود لطلبي بمقابلة أحد يشاركني فرحة هذا النصر المبين.

ولكن من غيرها؟

أرسلها الله لتؤنسني بكل ما أشعر به.

طلبت الخروج الى العيادة لألم برأسي فأخرجني الشرطي وكان أملي بأن أرى أحداً من الجهاد ولكن لم أوفق.

أعادني الشرطي الى الزنزانة لأجد الحاجة آمنة جالسة وقد جهزت كل ما أحضرته من حلوى وأطاييب وكانت تنتظر مطمئنة لأنها سألت عمال المطبخ وقالوا لها أنني ذهبت صوب العيادة.

فمنذ أن وصلت وقفت غير مهتمة لوجود الشرطي معي وقالت:

«الله أكبر، صل على محمد وآل محمد. الف مبروك يا محمد».

. بارك الله بك يا حاجة.

. أعلمت ماذا جرى؟ قلت لها: نعم علمت.

وأخيراً يا محمد جاء وعد الله بنصر المؤمنين وإن شاء الله الذي نصر المقاومة الإسلامية في لبنان سيمنحك الحرية ويمن علينا بتحرير الأقصى الشريف من دنس اليهود.

ندعو الله يا حاجة فهو القادر القهار وسيأتي اليوم الموعود. والذي نصر المؤمنين في لبنان سينصر المقاومين في فلسطين مادامو مع الله فإنه معهم.

سألت الحاجة نفسها هل أخبره ما فعله شرطة السجن في الخارج بعدما أخبرته الأخبار المفرحة؟

- ما بك يا أمي، ماذا حدث؟

- عزيزي محمد.

أما الخبر الذي لم أكن أريد إعلامك إياه فحاجز الشرطة في الخارج فتشني كثيراً هذه المرة على غير عادة وصادر مني شريط التسجيل الذي سجلته لك عندما اتصلت مع أهلك بعد التحرير.

لا يهمك. أخبريني ماذا قالت لك أمي، كيف كان وقع الانتصار في لبنان؟

في لبنان فرحة لا توصف، وأوصت لك بهذه الكلمات: «باركي عني لمحمد ورفاقه فقد قطعنا ثمرة جهادهم وسيعودون إن شاء الله ليحتفلوا بتحرير ما تبقى من الأراضي المحتلة».

وقالت لي أخبري محمد بأني احتفلت بهذا اليوم كما احتفلت يوم العملية الإستشهادية ضد الغزاة الأمريكيان في بيروت (المارينز) ووزعت الحلوى على الجيران والمارة وطلبت منهم الدعاء لك بالحرية.

إغرورقت عينا محمد بالدموع وسكت.

- سألته ما بك؟ قال: تذكرت ذلك اليوم فقد كانت الفرحة لا توصف. أما اليوم ففرحة أمي دامعة. فقدت والدي وأنا أسرت.

- توكل بالله يا محمد فوالدتك مؤمنة صابرة مجاهدة وهي أقوى من كل الظروف.



الحمد لله على نصر المؤمنين.

والآن ماذا جرى معك في المحكمة؟

- أجل يا حاجة. كانت الجلسة علنية في محكمة اللد

العسكرية بحضور الحاكم العسكري والقضاة والمحامي.

كانت عيون القضاة تقدح شرراً وتقرأ في ملامح

وجوههم روح الإجرام والإننتقام.

قرأ القاضي الأول الحكم وكان مؤبداً مع أشغال

شاقة.

صعق المحامي لهذا الحكم...

أما أنا فكنت مطمئناً بارد الأعصاب متكلاً على الله

بدأ المحامي بإقناعي بالرجوع عما أفدت واعترفت به

عن انتمائي لحزب الله ونيّتي بالإستمرار على نهج

المقاومة حتى تحرير الأقصى الشريف، فلم أذعن لطلبه

ووقفت أمام القاضي طرقت على الطاولة طرققة قوية

وصرخت بوجههم، الحكم ليس لكم الحكم لله أحكموا

مؤبداً، مؤبدين، ثلاثة لا يهم طالما هناك رب

للمستضعفين.

تناقش القضاة وحدثت ضجة عالية في المحكمة ولم

يفلح المحامي بإقناعي فتكلم معهم وأقنعهم بتخفيف

الحكم الى سبع عشرة سنة، يحتسب منها سنوات

الإعتقال السابقة للحكم.

- الله أكبر. ما هذا العز يا محمد؟

وافق العامل بكل سرور، فمعظمهم بلا كرامة لا مبدأ
لا يهمهم سوى مصلحتهم وإيذاء البشر.

وظهر ذلك اليوم أمن لنا لقاء بالفترة التي تتناول
شرطة السجن طعام الغذاء.

كان الشاب على أحر الجمر ليعلم ما الأخبار خارج
السجن.

فاليهود منعوا بث جميع المحطات العربية وبدأوا ببث
محطة التلفزيون اليهودي ومحطة خاصة تبث الأفلام
الإباحية فقط، ظناً منهم بأنهم سيغيرون إهتمام
السجناء عن تحرير الأقصى الشريف وما تبقى من
الأراضي اللبنانية المحتلة.

أول سؤال سألنيه: أخبرني يا محمد قبل كل شيء هل
زالت الحاجة آمنة تأتي لزيارتك؟

. ما الأخبار في الخارج؟ لا بد أن هناك شيئاً جديداً.
. لا يا.....

منذ مدة لم تزرني الحاجة، وإنني أعيش في حيرة
قاتلة ما الأمر يا ترى؟
عسى أن لا تكون قد أصيبت بمكروه.

تبادلنا أنا والشاب بعض المعلومات والأحاديث ذهب
كل الى زنزانته قبل أن يأتي الشرطي، واتفقنا أن يخبر
كل منا الآخر بكل معلومة جديدة.

حقبة كانت من أصعب الحقبات في السجن الإفرادي،

فقد أتوا لنا بشرطة جدد. ترى في ملامحهم اللؤم والإجرام، وتقرأ في عيونهم روح الانتقام.

يا الله يا ناصر المستضعفين، يا مفرج هم المكروبين فرج عنا وعن كل من قال لا إله إلا الله بحق لا إله إلا الله.

بدأ بركان الدم الفلسطيني يغلي، فالمقاومة الإسلامية ضحت في لبنان وانتصرت بعون الله وإخلاص المؤمنين وتصميمهم، فالله قادر على نصر المقاومين الفلسطينيين.

كنت ذات يوم أراقب نشرات الأخبار وحيداً، لا أحد يشاركني تحليلها إلا العناية الإلهية التي كانت تغمرنني دائماً.

فتح الباب بلؤم غريب وإذا بالشرطي اللئيم داخل الزنزانة يقول: «لك زيارة ولكن، أي حركة غريبة اليوم العقاب الغاز». وذهب، دخلت الحاجة وبعد أن سلمت، أخبرتها أن غيابها أقلقني.

كانت لا تغيب مثل هذه المدة الطويلة وحتى السجناء الفلسطينيين أصحابي افتقدوها كثيراً.

قالت: يا محمد، أنا افتقدتك كثيراً، فقلبي وفكري عنك دائماً والله الشاهد في كل لحظة من الليل أو النهار، ولكنني كنت على ثقة دائمة بأن الله سيسهل عودتي من جديد.

الأجواء في الأراضي المحتلة مشحونة جداً. واليهود يشددون علينا بالتفتيش كثيراً عند الحواجز، والله العالم، فهم يضمرون شيئاً جديداً هذه المرة، الله يستر. لم نهناً بالزيارة، فالشرطي لم يترك باب الزنزانة لحظة واحدة، وكان يفتعل الحركات المزعجة باستمرار ليخرج الحاجة.

توسلت اليها بأن تذهب مع كرهى لذلك لأننى أخسر بذهابها أنسها وما كانت تمنحنى به من حنان ومعنويات ودفع.

ولكنى لا أقبل لها الذل والإهانة، فاليهود أرجاس لا يرحمون ولا يحترمون أحداً.

- أرجوك يا حاجة أخرجى قبل أن يؤذيك، فعيناه تقدحان شرراً يوحى بالانتقام.

لم تستطع الحاجة أن تفهمنى شيئاً عما أحضرته لى وقالت: «خذ يا ولدى رتب هذه الأغراض واحفظها جيداً، وإن شاء الله إذا تيسرت مرة أخرى سأحضر لك بعض الخبز الطازج. وقفت الحاجة، أمسكت بحلقة الباب وحدقت بى ملياً، إغرورقت عيناها بالدموع ولشدة تأثيرها لم تستطع إكمال "يا محمد" فوضعت يدها على كتفى وكأنها تودعنى لآخر مرة وانفجرت بالبكاء. بكيت دون أن أشعر أيضاً.

دموع أحرق جفونى، ولكنها عندما بردت أخذتني

الى يوم ودعت فيه والدتي الحاجة فهيمة قبل خروجي
في عملية ولكني دون علمها.

دموع الفراق أحرقتني. فقد دأبت الحاجة آمنة على
زيارتي كل أسبوعين أو أكثر مرة، مدة تزيد عن الثماني
سنوات، بتيسير من الله ومدد غيبي لتمدني بالحنان
والقوة.

ثماني سنوات لم أشعر بما شعرت به اليوم.
قضيت ليلة عصيبة جداً لا تشبهها سوى أول ليلة
قضيتها في الأسر مسجى على سرير في مستشفى في
شمال فلسطين المحتلة، وطيف والدتي لم يفارقني
لحظة واحدة.

رب، ساعدني لأتغلب على ما أنا فيه كما ساعدتني في
المرّة الأولى.

فوحّدك القادر يا رب.

جلس محمد على التخت يتحسسه ويناجي نفسه.
يا الله ما هذا الصقيع في الزنزانة، هل هي ذاتها
التي كنت فيها، هل هذا الفراش نفسه؟
ما بك يا محمد؟ أنت لا تزال في نفس الزنزانة ولكن
الحاجة خرجت.

لا اعلم كيف نمت تلك الليلة، فكلما غضوت لحظة
أحلم تارة بوالدتي الحاجة فهيمة تسالمني: «محمد
حبيبي كيف حالك اشتقت لك كثيراً» وطوراً بالحاجة

آمنة: «ولدي محمد كيف قضيت تلك المدة أخبرني فقد
افتقدتك كثيراً».

ليلة لا يعلم إلا الله كيف إنقضت، ومنذ بزوغ الفجر
جلست بعد إقامتي الصلاة وكالعادة رحت أتابع نشرات
الأخبار.

عنوان تصدر نشرات الأخبار العالمية والمحلية هو،
غليان الدم الفلسطيني المقاوم وبدئه بقذف حممه بعد
استفزاز المجرم شارون لعواطف المسلمين ومقدساتهم
بتدنيس حرمة المسجد الأقصى. وهكذا اندلعت شرارة
الإنفاضة، فبدأ المقاومون الفلسطينيون يصبون ما في
قلوبهم ونفوسهم من حقد عزز في قلوبهم روح الثأر،
واثبتوا بتلك العمليات جدارتهم في حمل قضية
الأقصى الشريف مسرى الرسول ﷺ، في تلك الحقبة
شدد اليهود الحراسة على زنايات المقاومين
الفلسطينيين، ولو أمكنهم لمنعوا نسمات الهواء من
الدخول أو الخروج لأنهم أصبحوا يخافون حتى من
النسمة المقاومة.

بقيت مدة طويلة أراقب نشرات الأخبار بمفردي،
فمقابلات السجناء لبعضهم أصبحت ممنوعة، والحاجة
لم تعد تتمكن من زيارتي.

ساعدني يا رب، أصبحت وحدتي موحشة قاتلة في
هذه الظروف الصعبة. لا تقنط يا محمد من رحمة الله

فمرات عديدة عانيت من وحدة أوحش وأصعب وتغلبت عليها بإتكالك على الواحد القهار، فلا تهن ولا تحزن واخل بربك، الا تأنس بأنيس المحبين الذاكرين.

اشتدت المجازر بحق الفلسطينيين ومحمد طوال تلك المدة يأمل بقاء مع بعض الشباب من الجهاد وحماس وكان طلبه يقابل بالرفض العنيف دائماً والتهديد بالغاز، حتى أنهم منعوا عمال المطبخ من المرور صوب الزنزانات، فلم يعد يلح إلا أشباحاً لثيمة تتحرك في الممرات بحركة مشحونة بالحق تلفظها الأرض الطاهرة المقدسة أرض إبراهيم الخليل ومهد المسيح ﷺ.

ما باليد حيلة يا محمد، راقب الأخبار وأدع الله لهم بالنصر.

في هذه الأثناء أوقف اليهود الأرجاس بث بعض الإذاعات التي تظهر مدى بشاعة ما يفعلونه ويرتكبونه بحق الشعب الفلسطيني الصامد، خصوصاً في مخيم جنين المقاوم الأبى، ليحطمو بعضاً من نقمة السجناء ولكن برغم ذلك فقد رأينا الكثير من المشاهد البشعة التي تدمي القلوب والنواظر.

ساد السجن بأكمله صمت مطبق ليس بسبب سلطة الشرطة ولكن بسبب ترقب السجناء لأي خبر، إذا كان كل سجين إذا التقط خبراً من إحدى المحطات التي تركها اليهود، يصرخ بمدى صوته ليعلم كل السجناء فإذا كان

الخبر مفرحاً ارتفع التكبير في أنحاء السجن وبدأت
فرائص اليهود ترتعد خوفاً وقلقاً من كلمة " الله أكبر "
التي ستدك طغاة الأرض مهما تمادوا في ظلمهم.

اختلف الزمان من قانا الى جنين ولكن تماثلت
وتوحدت الجرائم، فالفاعل واحد والدافع واحد.

إيمان حجو شهيدة فلسطين الرضيعة تناغي وتشكو
لنور العابد شهيدة الرضع في قانا.

وما أشبهك يا ذراعاً احتضن محمد الدرة، بذراع
احتضن ثلاث زنبقات طاهرات في النبطية.

مجازر أدمت القلوب حتى بعض الذين تحجرت
قلوبهم بحب هذه الدنيا الفانية.

قضى محمد في السجن ما يقارب الخمس عشرة
سنة ولكن لم تمر عليه لحظات كهذه، ظلم ووحدة
وإجرام منتشر. عادت به الذاكرة الى كل مجزرة ارتكبها
اليهود بحق شعبنا.

ماذا يجب أن تفعل يا محمد؟

ماذا يمكنك أن تفعل لتخرج من هذه الوحدة دون أن
تركع لأحد فلست أنت من يركع أو يخضع لغير الخالق
الواحد القهار.

ليس أمامك يا محمد إلا الإضراب عن الطعام عله
يوصلك الى ما تصبو اليه.

أعلن الإضراب عن الطعام، وبدأ يرفض كل شيء



يأتونه به وطلب من أحد عمال المطبخ أن يعلم أحد مسؤولي الجهاد الذي شاركه الزنزانة أياماً طويلة سابقاً بإضرابه، فأرسل له أنه يجب أن يتوقف عن الإضراب فوراً وإلا أعلن الإضراب سبعمئة سجين فلسطيني وأشعلت في السجن ثورة ليست في وقتها ولا من مصلحة أحد فهناك كلام عن عمليات تبادل سرية ويمكن أن يكون هو الذي سيتحرر.

عم الإضراب كل زنانات الشباب الفلسطينيين المجاهد وأصبح الجميع بخطر، وبناء لطلب الشباب وافق أن يشرب فنجاناً من الحليب طلبه من العامل وقال له أخبر الشباب أن البرزاوي شرب فنجاناً من الحليب اليوم.

دب الذعر في أوساط اليهود، فهذا تنسيق وتفاهم لم يكن بالحسبان وبدأوا يفكرون بطريقة للخلاص منه دون قتله.

كل يوم صباحاً كان الشرطي يأتي لأخذه بقوة إلى العيادة بايعاز من قيادة السجن ليعرفوا كم نقص وزنه وهل أصبحت صحته في خطر، لأنه ليس من مصلحتهم أن يموت في السجن ولأنهم كانوا يراهنون على عمليات تبادل كثيرة وكان جوابه دائماً الرفض.

تعدى إضرابه عن الطعام الثلاثين يوماً لم يقطعه إلا ما طلبه من حليب مرة عندما تمنى عليه الشباب

الفلسطيني، وأخرى عندما وعده الشرطي بمقابلة أحد مسؤولي الجهاد، ولم يشعر يوماً أنه ضعف أو دخل الخضوع الى قلبه.

جاء الشرطي كالعادة طلب منه الوقوف، فوقف وكان ذلك الطلب ليرى مدى تأثير الإضراب على صحته وأعصابه.

ففي تلك اللحظة بالذات لمعت في مخيلته صورة ناظر المدرسة الأستاذ أحمد وهو يطلب منه حمل أغراضه والذهاب الى البيت مطروداً من المدرسة لما أثاره من شغب ولكنه لم يفلح وكان يبقى في المدرسة بعد أن يملّ من الطلب.

قال في نفسه، «اليوم يومك يا شرطي. عليك بأعصابه يا محمد» فليس من الصعب التغلب على مجرم ظالم ما دام الله بجانبه.

صرخ اللعين مرة أخرى: «قف برزاوي» وقف وضحك وقال له وقبل أن يطلب، قلت لك: أني أريد أن أذهب الى العيادة لأعرف كم أصبح وزني، أشعر بأنني ضعفت. لم يصدق ما سمعه وبسرعة صرخ: «هيا إمش» جاهلاً بما سيحصل هناك.

خرجوا من الزنزانة والشرطي يطير فرحاً، لأنه أنجز شيئاً سيكافأ عليه مكافأة مهمة من إدارة السجن، قد يأتي بخبر وقف الإضراب.

دعه يتكهن يا محمد يبني قصوراً في خياله فهو لم يدرك بأن الطريق الى العيادة يمر بالمطبخ وماذا يعني ذلك لي، فعندما وصلنا قرب المطبخ صرخت بصوت دوى في المطبخ: «أخبروا فلاناً بأن البرزاوي بخطر، تحركوا بسرعة».

أكمل به المسير الى العيادة وهو يطير فرحاً، لا يحس بأي تعب بعد هذه المدة من الإضراب عن الطعام. وصلوا الى العيادة، دخلوا فلم يكن أي سجين بالانتظار فقال له: «هيا إصعد على الميزان».

لم يصعد.

صعق وبدأ يصرخ، ومحمد واقف ينظر اليه ويضحك ويرى بعينه ناظر المدرسة، فمنذ طفولته لا يخضع إلا لله وعنفوانه كبير لا يوصف.

هكذا ربتة الحاجة فهيمة، فكيف الخضوع لمجرم ظالم. ملّ من إقناعه وعاد به الى الزنزانة، فالأستاذ احمد لم يتمكن يوماً من طرده رغم أنه كان شقياً يحرق أعصابه.

صباح اليوم التالي عمّت السجن حالة من الذعر والترقب. فاليهود يسابقون الوقت ليعلموا ما يدور بالخفايا، أجبروه على شرب فنجان آخر من الحليب شربه لإحساس رواده بأنهم سيضمرون شيئاً لإيذاء السجناء جميعاً إذا تضامنوا معه، عندها صرخ الشرطي صرخة المذمور ليعلم معظم السجناء بأن البرزاوي

قضى تلك الساعات بالتفكير بمن ترك ومن سيلاقي وكيف؟

كما لم يتمكن من أن تصور لحظة اللقاء مع والده....
لا حول ولا قوى إلا بالله، والدته وإخوته وأخواته
على أرض الوطن.

لم يتمكن من أن يتصور كيف ستكون اللحظة التي
ستعلم بها الحاجة آمنة أنه خرج، لحظة لم يشبهها إلا
بتلك التي علمت بها والدته الحاجة فهيمة بأنه أسير
عند قوات الاحتلال ولن يعود، ولكن مع فارق الطمأنينة
التي ستنزل على قلب الحاجة آمنة بأنه أصبح بحضن
الحاجة فهيمة لتقر عينها بعودته.

عذراً أمي آمنة فلم أكن أقصد الخروج هكذا، لم أقصد
الهرب دون وداع فلا يرد جميل الكريم بهذه الطريقة.
أعود وأستميحك عذراً، أرجوك سامحيني.

الآن أدركت معنى دمعوك في أثناء وداعنا الأخير فقد
شعرت بأنني لن أراك ثانية، وسيقتصر اللقاء على
المخابرات الهاتفية والرسائل فقط.

أعلم أن ذلك سيفرحك ولكن سامحيني ليس الأمر
بيدي، أنت تعلمين ألم تتضرعي الى الله لتقر عيني
الحاجة فهيمة بعودتي سالماً؟

أقبل يديك سامحيني، فتضحيتك وإيثارك لا يكافأ
هكذا.



قطعت إلتفاتته صرخة عسكري ليئم: «هيا الى الخارج». دفعه العسكري الى داخل سيارة عسكرية.

ترى هل هي نفس السيارة التي وضعوني فيها وجاؤوا بي الى سجن «الجلمة» يوم أسروني.

سارت السيارة بالإتجاه المعاكس لإتجاه الأسر. سارت نحو الأراضي اللبنانية، يريدون اليوم الخلاص منه عكس اليوم الذي أسروه به، فإنهم كانوا يسابقون الدقائق للوصول الى سجن الجلمة.

أوصلته السيارة الى الحدود اللبنانية الفلسطينية، وهناك أنتظر إجراءات التسليم التي استغرقت مدة ساعة.

كان بانتظاره على الحدود اللبنانية المبعوث الألماني «فورنيي» ومسؤولة الصليب الأحمر «كريستين» وهي لبنانية الجنسية. كان برفقة عسكري إسرائيلي من داخل فلسطين المحتلة.

لم يفك القيد من يديه إلا عند سور الحدود بالضبط، وكان ذلك نهار الإثنين الواقع فيه ٢٠٠٢/٦/١١ الساعة الرابعة والنصف ظهراً.

بعد الحاجز إستلمه الصليب الأحمر.

سجدت شكراً لله على وصولي لأرض بلادي المحررة.

الحمد لله فرائحة هذه الأرض لم تفارقني لحظة أبداً.

وعاد الفارس الأبى ظافراً شامخ الرأس...

٢٠٠٣/٣/ ٢١

أمراء النصر والتحرير

قصة الأسير المجاهد محمد عباس البرزواي

أنا الأسير المحرر ، محمد عباس البرزاوي .

اعتقلت بتهمة إنتمائي لحزب الله والمشاركة بعمليات ضد الجيش الإسرائيلي
المحتل وسأبقى أقام حتى تحرير القدس الشريف .
بعد خروجي من السجن عادت إلي الحياة من جديد ، وفي اللحظة التي قال
لي نير مسؤول الصليب الأحمر : « أنت عائد إلي لبنان اليوم » . شعرت
بأن الحياة استيقظت في قلبي وكأن شيئاً كان نائماً وأذن له بأن يفيف
رجعت منتصراً لأن الوطن قد تحرر .

صالح

أنا الأسير المحرر، محمد عباس البرزاوي.

اعتقلت بتهمة إنتمائي لحزب الله والمشاركة بعمليات
هذه الجيش الإسرائيلي المحتل وسأبقى أقام حتى تحرير
القدس الشريف.

بعد خروجي من السجن عادت إلي الحياة من جديد،
وفي اللحظة التي قال لي فيها مسؤول الصليب الأحمر:
« أنت عائد إلي لبنان اليوم ». شعرت بأن الحياة استيقظت
في قلبي وكأن شيئاً كان نائماً وأذن له بأن يفيف رجعت
منتصراً لأن الوطن قد تحرر.

أمراء النصر والتحرير

قصة الأسير المجاهد محمد عباس البرزواي